نقض المنطق

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

٦٦١ — ٧٢٨ هـ

رحمنا الله وإياه ، وغفر لنا وله وللموحدين

حقق الأصل المخطوط وصححه

الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة
الإمام الثاني والمدرس بالحرم المكي

الشيخ
سليمان بن عبد الرحمن الصنيع

صححه

محمد حامد الفقي

مكتبة السنة المحمدية
٥ شارع سامي البارودي (حسن الأكبر سابقا)
تليفون : ٩٠٧٩٠٤ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجاً ، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا ، ماكثين فيه أبداً ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ـ مالهم به من علم ، ولا لآبائهم ـ كبرت كلمة تخرج من أفواههم . إن يقولون إلا كذبا) (هو الذى أنزل على عبده آيات بينات ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، و إن الله بكم لرؤوف رحيم) .

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على عبد الله ورسوله محمد ، خاتم المرسلين ، و إمام المهتدين وعلى آله أجمعين .

و بعد ، فقد تفضل السلفى الكبير ـ موئل الكرم والعلم والسلفية فى جدة ـ الشيخ محمد بن حسين بن عمر نصيف أفندى فأعطانى النسخة بارك الله فيه وله ، الخطية لرد شيخ الإسلام الإمام المجاهد الصابر المحتسب ، حبر هذه الأمة وعالمها ، الناصح الصادق : أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى ، رضى الله عنه وأرضاه ـ على المنطق ، وهى منقولة بخط الأخ الشيخ عبد المعطى بن على بن يوسف المصرى المنوفى ، الذى هاجر لله ولرسوله إلى المدينة ، ومات بها رحمه الله وغفر لنا وله ، نقلها عن الأصل الخطى المحفوظ فى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ثم قابلها على الأصل مع الشيخ الفاضل محمد بن على الحركان من أفاضل طلبة العلم بالمدينة . ثم صححها الأستاذ العالم الفاضل المحقق الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة ، وعلق عليها بتراجم مختصرة لبعض من ذكرهم شيخ الإسلام من الرجال عند المناسبات ، ثم راجعها وصححها تلميذه الفاضل الشيخ سليمان ابن عبد الرحمن الصنيع العنيزى ثم المكى ـ الذى كان حينئذ عضواً لهيئة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وتلميذاً فاضلا للشيخ محمد بن عبد الرزاق

في الحديث وعلومه بالحرم المكى ، بعد أن نقل الشيخ من إمامة المسجد النبوى بالمدينة إلى مكة مدرساً ، و إماماً ثانيا بالحرم المكى .

وقد استدرك الشيخ سليمان الصنيع على بعض تصحيحات شيخه استدراكات كان فيها موفقا . و بذلك خدم الشيخ وتلميذه هذه النسخة خدمة مشكورة ، جزاهما الله خير الجزاء ، و بارك فيهما وفى جهودهما ، ووفقنا و إياهما لخدمة العلم والمسلمين . ورزقنا و إياهما إخلاص العمل لوجهه الكريم .

وقمت أنا بطبع الكتاب و بالتصحيح المطبعى جهد الطاقة ، وعلقت ببعض تعليقات قليلة جداً ، أرجو أن أكون موفقا فيها .

ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق الشيخ « عبد الرحمن الوكيل » وكيل جماعه أنصار السنة المحمديه عمل مقدمة له ، لأنه متخصص فى الفلسفة ، وله بصر نافذ فيها ، وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ووكلت إلى الأخ « رشاد سليمان » عمل الفهارس لما عرفت من نشاطه وذكائه ودقته .

ثم شاورت العلامة السلفى الصالح . المحقق — ضيف مصر الكريم — الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضى عنه — فى اختيار اسم للكتاب . فإن شيخ الإسلام رحمه الله لم يسمه . فوقع الاختيار على « نقض المنطق » قال ابن عبد الهادى فى « العقود الدرية » وله كتاب فى الرد على المنطق مجلد كبير . وله مصنفان آخران فى الرد على المنطق ، مجلد .

فها هو ذا أقدمه لإخوانى طلبة العلم ، راجياً من الله تعالى أن ينفع به ، وأن يجعل منه نبراساً يهدى المسلمين إلى صراط الله المستقيم .

وصلى الله وسلم و بارك على عبد الله ورسوله محمد خاتم المرسلين وعلى آله أجمعين.

وكتبه فقير عفو الله

القاهرة فى { ٢٨ — ٤ — ١٣٧٠ هـ / ٥ — ٢ — ١٩٥١ م

محمد حامد الفقى

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله .

« و بعد » فهذا كتاب جليل ، جاد به فكر عبقرى الإسلام ، مجدد شبابه ، أسد عرينه ، الإمام ابن تيمية .

وشهد الله لقد تهيبت المقام حين تفضل أستاذنا الكبير صاحب الفضيلة العلامة الشيخ « محمد حامد الفقى » فعهد إلىّ ـ مشكوراً ـ بكتابة مقدمة لهذا الكتاب العظيم ، نعم تهيبت ذلك ، لأن ابن تيميه أمة وحده فى تدبر القرآن والسنة ، واستيعاب معانيهما ، والكشف عن كنوزهما الغالية ، و إدراك دقائقهما ببصيرة تكاد تلمع بوارقها وراء الأفق ، وفكر يستدنى الأعصم من ذِرْوة القِمَّة ولعل ذلك بَيِّنٌ عند الكثيرين ممن أعجبوا بابن تيمية أو خاصموه .

بيد أن هناك جانباً عظيما من جوانب العظمة فى ابن تيمية لما يزل مجهولا ، ذلك الجانب : هو أنه عبقرى من عباقرة الفكر الإنساني ، لا فى الشرق وحده ، بل فى العالم كله ، وحسبك أنه بَدَّد بقوىٍّ حجته من كتاب الله وهدى رسوله ما زعمه المتفلسفون من خصومة الدين للعقل ، أو تجافيهما . وأقام البراهين الساطعة على توافقهما وتآخيهما ، إذا وضعا الوضع السليم : على أن يكون الدين أصلا للعقل ، ومآباً يفىء إليه ، إذا حَيَّرته متاهات الظنون ، حسبك أنه سبق فلاسفة الغرب ومفكريهم إلى نقد المنطق الإرسطي ، و بيان ما فيه من نقص وخلل ، حسبك أنه ناضل الفلاسفة ـ طواغيت الناس وأصل فتنتهم ـ فكان له عليهم الفَلَج والنصر ، متسلحاً فى نضاله بالمنقول الصحيح . والمعقول الصريح . فجمع بين القوتين .

وكان نقده للفلسفة من ناحيتين : مجانبتها الواضحة للعقل الصريح ، ومخالفتها الحمقاء للنقل الصحيح ، ولقد برهن على ذلك بالعقل والنقل ، وكان يأتى على القواعد الكلية التى يسفسط الفلاسفة ، فيزعمون أنها مسلمة ، فينقضها نقضاً مبرهناً بالدليل العقلى على فسادها أو تناقضها ، والفلاسفة يزعمون - فى خيلاء - : أنهم وحدهم أرباب المنطق والعقل والحكمة ، وأنهم آلهة الفكر المقدسون ، فيجىء ابن تيمية ويثبت بأدلة قوية قوة الحق : أن الفلسفة أوهام وأساطير ، وأن العقل الصريح يناقض ما ذهب إليه هؤلاء ، فيديل ببراهينه من كِبْر الفلسفة ، ويفُلُّ من غَرْب خيلائها .

وإليك رأيه فى أدنتهم فى الفلسفة الإلهية « العلم الإلهى لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلى يستوى فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمولى تستوى فيه أفراده ، فإن الله سبحانه ليس كمثله شىء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوى أفرادها ، ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة فى المطالب الإلهية : لم يصلوا بها إلى اليقين ، بل تناقضت أدلتهم »[1] .

ويمثل الإمام الناحية الإيجابية فى النقد أيضاً ، فيبين الدليل الذى يستند إليه . ولقد وجه ابن تيمية جُلَّ نقده للجانب الإلهى من الفلسفة ، أو للفلسفة « الميتافيزيقية » وناضلها نضالاً نحس فيه بتلك القوة الفكرية الجبارة ، وتلك الروح الدينية العالية ، التى يلهم الله بها ابن تيمية الحق فى نضاله .

نعم كان همه نقد الفلسفة الإلهية ، إذ رآها أمشاجا من الإلحاد والكفر والزندقة ، فيقول « المتفلسفة فى الطبيعيات خوض وتفصيل ، تميزوا به .

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول جزء أول على هامش منهاج السنة النبوية (ص ١٤ ، ١٥)

بخلاف الإلهيات . فإنهم من أجهل الناس بها ، وأبعدهم عن معرفة الحق فيها ، وكلام إرسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ »[1] ويقول « ومذهب الفلاسفة الملحدة دائر بين التعطيل ، وبين الشرك والولادة كما يقولونه فى الإيجاب الذاتى ، فإنه أحد أنواع الولادة . وهم ينكرون معاد الأبدان ، وقد قرن بين هذا وهذا فى الكتاب والسنة »[2] ورأيه مبسوط فى جل كتبه .

إن ابن تيمية استوعب الفلسفة ، وفهم خطرها الجامح على الدين والأخلاق والفكر ، فثار عليها ثورة الحق وانتصر . رآها هدامة للدين وللأخلاق ، مخالفة للعقل الصريح[3] ، وفى إثباته ذلك عن حق تتمثل عظمة ابن تيمية الفكرية .

خصوم ابن تيمية فى عصره : ماج عصر ابن تيمية بالآراء المتباينة ، والمذاهب المتضادة ، والعقائد المتنابذة

فلاسفة : يؤلهون أرسطو و إفلاطون ، ويثبتون قدم العالم ، ويصفون إلههم بما يجعله عدما أو صورة ليس لها وجود إلا فى الذهن ، وصوفيون : هم أبناء الفلاسفة ـ أو هم هم الفلاسفة ـ حاولوا ترويج الزيغ فى البيئة الدينية بأسلوب شاعرى ، فخرجوا يثبتون للإله الحلول المطلق ، أو المقيد فى بعض تعينات الوجود ، أو يؤمنون بالوحدة ـ شهودية أو وجودية ـ أو بالاتحاد ، وذلك نفى للإله الحق الذى جاء رسل الله يدعون الخلق إلى عبادته ، ويعرفونهم بأسمائه وصفاته . وجهميون : يجردون الله سبحانه من صفاته التى وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ، وينفون الاختيار عن الإنسان . ومعتزلة : شابهوا الجهمية فى التجريد ولكنهم نفوا كل أثر للقدر فى الأفعال الإنسانية ، وأثبتوا للانسان خلق أفعاله .

(١) ص ١٨٦ معارج الوصول من مجموعة الرسائل الكبرى

(٢) ص ١٨ من كتاب النبوات طبعة منير الدمشقى

(٣) لا تعوزنا النصوص فى البرهنة على هذا ، ولو مد الله لنا فى الأجل بسطناه على صفحات مجلتنا « الهدى النبوى » إن شاء الله تعالى .

وأشاعرته : حاولوا تأسيس مذهب جديد ، ولكنهم وضعوا مذهباً تبدو فيه نزعتا التلفيق والاختيار ، حاولوا التوفيق بين المعتزلة و بين السلف ، فلم يفلحوا ، و بين الجبريين والقدريين فأخفقوا . و باطنيون : تسموا بأسماء مختلفة ، ولبسوا ألوانا من الزخرف الخادع ، يجمعهم غرض واحد ، هو القضاء على الإسلام بما يُلَبِّسون به على العقول ـ المدفونة فى أكوام التقليد الأعمى والغفلة ـ من أساطير وتهاويل . و بما يزعمونه من حلول إلههم في بعض الكائنات ، وظهوره فى دورات كلية . وفقهاء : همهم التعصب لمذاهبهم وأحزابهم ، وإن لم يظاهرهم قرآن أو تؤيدهم سنة ، ونصارى و يهود وزنادقة .

كل هؤلاء خاصمهم ابن تيمية لله ولدينه ولرسوله ، وكان أكثر هؤلاء قد تسلحوا بالمنطق الإرسطى ، يرونه القانون الذى لا يضل ، والطريق الأقوم الذى يهدى إلى الحق .

خاصم ابن تيمية كل هؤلاء مستوعباً آراءهم ومذاهبهم ، فدرس الفلسفة ، وفهم مسائلها فهما دقيقاً جيداً ، والصوفية وتبين فى جلاء هدفها ، والمنطق الإرسطى الذى يتسلحون به فى الحجاج ، فتجلى له ما فيه من خلل ونقص . فأعلنها ثورة عاتية ، سبق بها « بيكون » وسواه من فلاسفة الغرب .

درس ابن تيمية كل هذه المذاهب درساً دقيقاً ، جعله قوى الحجة فى مخاصمتهم وكان عادلا نزيهاً كريماً فى نقده . فتراه ينقل عنهم نقل الأمين العادل النزيه[1] و ينسب الرأى لصاحبه ، لايخطىء فى النسبة ، فما يتقوّل على فيلسوف ، ولاصوفى ولامتكلم ، ولافقيه ، حتى كان أحياناً ـ رضى الله عنه ـ ينفى عن بعضهم ما ألصق

(١) يحقد بعض من وسعتهم مصر فى رحابها على الإمام العظيم ، فيتهمه بالكذب فى النقل . وإنى لأتحدى هذا الوتور أن يثبت لنا شيئاً من هذا ، أما نحن فنستطيع أن ندله على عشرات ـ بل مئات ـ يعرفون عنه هو هذا الافتراء فى النقل ، ولعله إنما يحقد على ابن تيمية عروبته التى كان يعقت بها دخلاء الأعاجم ، الذين لم تستطع قلوبهم النافلة أن تتخلص من حقدها القديم على الإسلام . ! !

به من قول يدمغه بالمروق ، كما فعل مع رابعة ، وكما يفعل أحيانا مع الغزالى[1] ولطالما تتبعت ابن تيمية فى نقوله عن الفلاسفة وعن الصوفية وعن الغزالى ، فوجدت الأمانة والدقة والخبرة وشمول المعرفة ، ناهيك بدقته فيما ينقل عن الكلاميين والفقهاء . أما السنة فهو بطلها المغوار ، وفارسها المجلى .

ويلخص لنا مؤلف كتاب (العقيدة والشريعة فى الإسلام) جهود ابن تيمية فيقول : « هبَّ لمناهضة البدع التى عملت على تحرير المعالم الأصلية للاسلام وتعديلها ، سواء أكان ذلك فى العقائد أم فى الأحكام والعبادات ، كما أبدى هذه الغيرة فى مقاومة الآثار التى أحدثتها الفلسفة فى الإسلام ، حتى الصيغ الكلامية الأشعرية ، على الرغم من أن السنة ـ يقصد من سموا أنفسهم أهل السنة ـ قد أقرتها منذ عهد طويل ، وكافح ابن تيمية الصوفية ومبادئها الحلولية ، كما استنكر تقديس النبى والأولياء . وأنكر الحج إلى قبر النبى ، واعتبار المسلمين إياه عملا ذا قيمة دينية عظيمة ، وعده بدعة مخالفة للدين . لقد نهض ابن تيمية ـ دون أن يوقفه شىء ـ إلى مقاومة السلطات الدينية ، التى أضفت على المراسيم الطفيلية الزائدة فى العبادات صفة شرعية ، هى ثمرة الإجماع ، فقد كان يرجع دائماً فى تحقيقها إلى السنة ، وإلى السنة وحدها[2] »

ثم يتحدث عن أثر مؤلفاته فيقول : « ومؤلفاته التى تقرأ وتدرس ، كانت فى كثير من البيئات الإسلامية قوة صامتة ، تثير من وقت لآخر انفجارات عدائية لمناهضة البدع الدخيلة على الإسلام » .

---

(١) غير أنه يصرح بالحق لا يداهن فيه ، فيقول « وكلام الغزالى فى المضنون خير منه كلام مشركى العرب » .

(٢) ترجمة كتاب العقيدة والشريعة لأستاذنا الدكتور الشيخ محمد يوسف موسى وزميليه الفاضلين ، ص ٢٣٥ . ويلاحظ : أنه ذكر ما يحتج به الدهماء على البدع والخرافات : أنها أجمعت عليها الأمة . وهذا اجماع باطل ، بل هو وهم كاذب

و يتحدث بُروكلمان : عن عداء الفقهاء لابن تيمية فيقول « أولئك الفقهاء الذين لم يتورعوا عن اضطهاد رجـل صالح مؤمن بالله أصدق الإيمان وأشده ، كابن تيمية الحنبلي ، لإحجامه عن مجاراتهم فى جميع ماذهبوا إليه من رأى ، ولمقاومته كثيراً من مظاهر التدين لدى العامة ، كعبادة الرسل والأولياء[1] » .

ألا يخزي الحاقدون ذوو الشنآن من شهادة هذين المستشرقين ؟

هذا الـكتاب : فى القسم الأول من الـكتاب يتحدث عن مذهب السلف فى الاعتقاد ، وصحة نسبة هذا المذهب إليهم ، عارضاً آراء أئمة السلف ، وأئمـة المذاهب الفقهية فى هذا الموضوع ، و بعد هذا يدلل ابن تيمية بالنقل والعقـل على أن السلف أعلم وأحكم أرباب المعتقدات فى الإسلام ، مفـاضلا بين بعض الفرق و بعض ، جاعلا النسبة فى الأفضلية ، على نسبة القرب من السنة .

و يبدع ابن تيمية فى الحجاج حين يذكر ماعابه المفترون على أهـل الحديث من قلة الفهم والمعرفة ، و يرد على فريتهم رداً قويا محكماً ، مبرهناً على دقة الفهم وشمول المعرفة عنـد أهل الحديث .

ثم يذكر المتكلمين ، مبيناً وهن اعتقادهم واضطرابه ، وأنهم أعظم الناس شكا وحيرة فى النهاية . ولابن تيمية هنا من لمعات الذهن ، و بوارق البصيرة ، وتألق الإدراك النفسى والعقلى : مايكاد يجلى غيوب الظواهر النفسية والفكرية .

ثم عرج على حصول العلم فى القلب عقب النظر فى الدليل، وهل هو بالتولد كزعم المعتزلة ، أم بفعل الله ، كقول الأشاعرة ، أم بفيض عن العقل الفعال ، كما يهذى الفلاسفة ؟ ؟

يعرض ابن تيمية هذا ، ثم يكر بالدليل، فيهدم مابنى الفلاسفة ، و يجلى الحق الحائر بين الأشاعرة والمعتزلة ، مبيناً كُنْه النظر المفيد للعلم ، مبرهنا على أنه

---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ص٢٤٧ ، المجلد الثاني من الترجمة نشر دار العلم للملايين بيروت .

ما اعتمد على دليل هاد ، وأن الدليل الهادى لا يكون إلا من القرآن أو السنة عارضا فى استطراده أنواع النظر .

و يعود ابن تيمية إلى علماء الكلام ، فيصمهم باضطراب الأدلة ، وبالتناقض ، والتذبذب ، والأخذ بالرأى مع نقيضه ، مقارناً بينهم و بين أهل الحديث فى هذه الناحية ، فيذكر الثبات على العقيدة ، وعدم التناقض ، والنأى عن مهاوى ، الفكر ، ومزالق الرأى ، وأن كل ذلك لأهل الحديث .

ثم يحكى ما اتهم به المتكلمون أهل الحديث من أنهم مقلدون ، منكرون لحجة العقل ، ليسوا أهل نظر واستدلال ، و يرد تلك التهمة عن أهل الحديث بما أثر عنه من قوة الحجة وسطوع البرهان ، ثم يتحدث عن الاتحاديين والجهميين ، ورأيهم في الوجود الإلهى ، وصفاته ، مبيناً أوجه التشابه فى هذا الزيغ بين الفريقين ، وعن الغزالى وجنوحه إلى الفلسفة والتصوف .

ثم يفصّل ابن تيمية لنا مناهج الباحثين فى كلام الرسول ، فيتحدث عن مناهج « التخييل ، والتجهيل ، والتأويل » مبيناً أن خاتمة المطاف للمؤوِّلة : شك وريبة وحيرة بالغة .

ثم يتحدث عن الشيعة ، وزعمهم اختصاص على بن أبى طالب رضى الله عنه بعلوم وأسرار ليست فى كتاب الله ، و يتحدث عن الكتب المنسوبة إلى أئمتهم ، كالجفر وسواه ، مدللا على زيف كل هذه المزاعم .

و يستطرد ابن تيمية ، فيتحدث عن التفسير وجواز الترجمة . ثم يفيض فى الحديث عن الملائكة . ثم يعرض أسطورة الفلسفة الميتافيزيكية « الواحد لا يصدر عنه إلا واحد »[1] و يبلغ ابن تيمية الذروة حين يبين بالحجة العقلية زيف هذه الأسطورة هنا وفى منهاج السنة ، وفى مجموعة الرسائل الكبرى وغيرها .

---

(١) يهدف الفلاسفة من وراء هذه الأسطورة إلى إثبات : قدم العالم ، ونفى صفة الخلق عن الإله ، وتجريد الإله من صفاته الوجودية ، ونفى الربوبية والعناية .

ثم يعرض لرأي من قال : إن الحشوية على ضربين : مشبه مجسم ، ومتستر بمذهب السلف . ويعقب عليه ببيان الحق فى هذا ، مبيناً معنى هذه الكلمات « التوحيد ، التنزيه ، التشبيه ، التجسيم » مثبتاً حقيقة التوحيد الذى جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام . ثم يتعرض لقول من زعم : أن طريقة السلف أسلم . وطريقه الخلف أعلم وأحكم . مظهراً فساده ، موضحاً أن السلامة والعلم والحكمة فى مذهب السلف .

ثم يتحدث عن الفلاسفة والباطنية وزندقتهم فى زعمهم : أن الرسول لم يبين الحق المستور في باب التوحيد . راميا إياهم ـ عن دليل ـ بالزندقة والكفر .

وأخيراً يعرض مارمى به ابن الجوزى الحنابلة من التجسيم . ويبين الحق جلياً واضحاً فى هذه المسألة ، ناقلاً خلاصة هامة عن أبى الحسن محمد بن عبد الملك الكرجى الشافعى من كتابه « الفصول فى الأصول عن الأئمة الفحول» عن السنة وفضائلها وعن مذاهب الأئمة الأعلام فى الصفات والأسماء الإلهية

هذا عرض للقسم الأول من الكتاب ، وهو كما ترى حافل شامل يبين الحق بياناً جلياً فى أدق وأعمق ما بحث فيه الفكر البشرى منذ بَدَأ يتطلع إلى لمح الحقيقة من وراء الأفق النائى البعيد .

القسم الثانى : نقد المنطق : فى هذا تتجلى العظمة الفكرية ، والعبقرية الفذة النادرة ، للامام الجليل ابن تيمية رحمه الله . ويحيف الباحثون على الحق والحقيقة حين ينسبون إلى « بيكون[1] » و « جون ستيوارت مل[2] » وأضرابهما من

(١) فرنسيس بيكون المتوفى سنة ١٦٢٦ ، فيلسوف إنجليزى من زعماء الفلسفة الحديثة،سبقه راموس وبعض رجال عصر النهضة فى التنديد بالمنطق الأرسطى ، ثم جاء هو يتم مابدأوه ، فحمل حملة شعواء عليه ، وعارضه معارضة شديدة ، حتى ألف كتابا سماه « الإرغانون الجديد » ، ليعارض به كتاب أرسطو الذى سماه « إرغانون » ولكنه كان دنىء الطبع لئيم النفس .

(٢) فيلسوف إنجليزى توفى سنة ١٨٧٢ من زعماء المذهب الحسى ، الذى كان =

مفكرى الغرب وفلاسفته الفضل الأول والأخير فى تقويم المنطق الإرسطى، وضبط منطق الاستقراء أو فى المواءمة بين المنطق الصورى والمنطق المادى بسلبيهما يعرج العقل الإنسانى إلى قدس الحقيقة ، نعم هاجم هؤلاء المنطق الإرسطي ، متهمين إياه بالآلية والتعقيد، وفرط عنايته بالناحية الصورية لا بالملاحظة والتجربة وهى الوسيلة الناجعة لفهم ظواهر الكون ، و بالقياس لا بالاستقرار الذى هو أقوم سبيل لكسب المعلومات والوصول إلى المعرفة ، لكن ابن تيمية كان أسبق منهم جميعاً ، إذ نقد المنطق الإرسطى ، فى عصر كان فيه ذلك المنطق صنم الفكر المعبود ، نقده نقداً صحيحاً زلزل من هيكله ، وهتك قناع القداسة الزائف عن وجهه ، ليبدو فى صورته الحقيقية ، ولكن كان لبيكون وللمن يحتفى بهما ، فذاع لهما ذلك الصيت البعيد .

أما ابن تيمية فكان بين معجب لم يعن ببحث مناحى العظمة الفكرية للإمام ابن تيمية ، بل عنى ببحث الجانب الاعتقادى ونشره والذياد عنه ، و بين حاقد موتور، يحاول طمس معالم هذه العظمة ، وتلك العبقرية الوثابة فوق الذرى، الألآفة فوق الشمس ، النادرة الوجود .

كان الحال ـ بعد ابن تيمية ـ كما يقول مؤلف كتاب العقيدة والشريعة : « كانت المؤلفات الكلامية التى صنفها العلماء بعد وفاته مباشرة تدور حول فكرة واحدة ، وهى معرفة ما إذا كان ابن تيمية زنديقا أم مناضلا أمينا عن السنة ؟ »[1]

غير أننا نستبشر خيراً بما بدأت المطبعة تنشر من دفائن كنوز هذا الفكر

= لمخطره فى الفكر والأخلاق، وقد ردد فى منطقه كثيراً من آراء الرواقيين وبعض الشكاك القدماء ، وجد فى ضبط قوانين الاستقراء ، وأنكر الكليات والمعانى العامة غير معترف إلا بالوقائع الجزئية والظواهر الفردية والاستقراء الذى يعتد به نوع من التمثيل .

(١) ص ٢٧٦ من كتاب العقيدة والشريعة فى الإسلام لجولدزيهر .

الإسلامى الجبار ، ومن بحوث تدور حول تجلية مناحى العظمة الفكرية لهذا الإمام العظيم .

منطق إرسطو وموقف المسلمين منه : عرف إرسطو بمنطقه قبل أن يعرف بشىء آخر من آثاره الفلسفية ؛ وكان لمنطقه السيادة المطلقة في العصرين : القديم والوسيط ، فلم ينازعه السيادة منطق آخر ، وأنَّى تكون ؟ وليس ثمت سواه ! فالجدل « الإفلاطونى[1] » أقرب إلى المناقشة والحوار منه إلى المنطق ، أما قانون « أبيقور[2] » فهو لا يرمى إلى وضع (قانون تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ فى الفكر) بل ينصبُّ على المعرفة أولا وطريق كسب المعلومات ، نعم قسم الأبيقوريون الفلسفة إلى ثلاثة أقسام « منطق ، طبيعة ، أخلاق » .

غير أن هذا التقسيم صورى تقليدى فحسب ، تأثروا فيه غالبا بأفلاطون ، لذا كانت عنايتهم بدراسة المنطق هزيلة .

أما « الرواقيون[3] » فنقدوا المنطق الإرسطى ، ووجهوا إليه اعتراضات هامة ، وكانوا لا يؤمنون بفكرة « الكلى » فكان طبيعيا أن يرفضوا ما بنى عليها من قواعد المنطق وقوانينه ، وحاولوا تأليف منهج استقرائى ، يدنو إلى مناهج البحث العلمى الحديث .

---

(١) إفلاطون : فيلسوف يونانى ولد عام ٤٢٧ ق م وهو صاحب نظرية المثل المشهورة التى كانت مصدراً كبيراً لصوفية الأديان كلها فى أساطيرها .

(٢) فيلسوف يونانى ولد سنة ٣٤١ ق م . فى ساموس ، كانت الأخلاق عنده محور الفلسفة وغايتها ، ومذهبه فى الأخلاق مذهب اللذة ، فغاية الحياة عنده : هى اللذة .

(٣) الرواقية : معاصرة للأبيقورية ومعارضة لها ، وضع أصولها « زينون » وأتمها من بعده تابعان له ، ومذهبها فى الأخلاق : أن يعيش الإنسان وفق الطبيعة والعقل ، ويكاد يكون مذهبها حلولياً .

وكذلك عارض « الشكاك[1] » منطق إرسطو ، إلا أن هذه المعارضات كلها جرفها أمامه سلطان منطق إرسطو القاهر .

وقد دخل المنطق الإرسطى العالم الإسلامى في وقت مبكر[2] فعرفوه وعرفوا معه تلك الشروح التى أضافها إليه شراحه اليونانيون ، وعرفوا أيضا نقد الرواقية والشكاك للمنطق الإرسطى . وكان لمفكرى الإسلام وفلاسفته ومتكلميه وأصولييه وفقهائه مواقف متباينة أمام هذا المنطق .

أما الفلاسفة : فقد تلقوه بالإعجاب ، وأحاطوه بهالة من القدسية ، وأما المتكلمون والأصوليون : فجنحوا إلى الرواقية ، رافضين المنطق الإرسطى ، غير أن الغزالى كان أولَ أمره يقدس منطق إرسطو ، حتى ليقول « إن من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه » وبالغ حتى جعله ميزانا يزن به العلوم الدينية وسواها ، فيقول فى كتابه القسطاس عن قوانين المنطق «لاأدعى أنى أزن بها المعارف الدينية فقط ، بل أزن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية ، وكل علم حقيقى غير وضعى ، فإنى أميز حقه عن باطله بهذه الموازين ، وكيف لا ؟ وهو القسطاس المستقيم » غير أن الغزالى رفض المنطق الإرسطى فى نهاية أمره ، وأنكر أن يكون سبيل الوصول إلى المعرفة ، ثم مضى يقلسها عن طريق التجربة الباطنية ، أو أسطورة الكشف الصوفى ، كما صرح بذلك فى كتابه : « المنقذ من الضلال » .

أما ماسوي هؤلاء من فقهاء المسلمين : فكان موقفهم عدائيا تاما ، غير أنهم

---

(١) جماعة رأوا تعارض الآراء وتناقضها ، ففقدوا الإيمان بالحق والخير ، وإمامهم « بيرون » (٣٦٥ – ٢٧٥) ق م . المعروف بكونه صاحب مذهب اللاأدرية ، المنكر للعلم واليقين

(٢) قيل : فى عهد خالد بن يزيد . وقيل : فى عهد أبى جعفر المنصور ؛ ولسنا بصدد تحقيق تاريخى هنا

تباينوا ، فقريق كان مظهر عدائه فتاوى يصدرها ، محرما بها الاشتغال بالمنطق ، كابن الصلاح ومن تابعه ، وفريق كان موقفه موقف الناقد بالبرهان ، وإمام هؤلاء جميعا : الإمام ابن تيمية رحمه الله .

نقد ابن تيمية للمنطق : لسنا بصدد دراسة شاملة لهذه الناحية عند الإمام ابن تيمية ، وحسبنا استنباط مظاهر نقده للمنطق من هذا الكتاب الذى نسعد بتقديمه إلى القراء .

عرض لاوجه النقد فى الكتاب : فى الكتاب يتحدث عن المنطق ، ويزيف زعم غلاته : أنه فرض كفاية . ثم يذكر ذم علماء المسلمين له ، وعدم كفاية المنطق فى الوصول إلى الحق ، وأنه لا يفيد أربابه الإيمان الواجب ، بل طالما كان المنطقى زنديقا ، وقد يجمع بين الإيمان والنفاق . ثم تحدث عن القياس وأنه ينعقد بالفطرة ، دون حاجة إلى تعلم المنطق . ويذكر أنه خدع بالمنطق ثم تجلى له عدم فائدته . ثم يعرج على نقد المتكلمين للمنطق ، متحدثا عن أنواع الأقيسة ومفاهيمها عند المناطقة ، وعن المشهورات ، وعن صلة القياس بالبديهة والفطرة ، ثم ينقد مناطقة الفلاسفة والمتكلمين واليهود والنصارى فى موقفهم من القياس . ثم يتحدث عن قياس التمثيل ، وعلم ما بعد الطبيعة ، وصلة المنطق بالعلوم وعدم الحاجة إليه فى الأمور العملية .

واستطرد ـ كعادته ـ مبينا تلازم الأصول الثلاثة « التوحيد ، الإيمان بالرسل ، الإيمان باليوم الآخر » ذاكرا : أن السعادة لا يحصلها منطق ولا حكمة ولا فلسفة المناطقة والحكماء والفلاسفة ، وبرهن على أن غير العلم الإلهى ليس فيه يقين ، وليس سبيلا للنجاة . ثم بين أن كلام المناطقة إنما ينحصر فى الحدود التى تفيد التصورات ، وفى الأقيسة التي تفيد التصديقات ، وأن غالب كلامهم فى هذا : فيه تكلف فى العلم وفى القول ، وجله لغو لافائدة فيه .

نقد الحد : يزعم المناطقة « أن التصور الذى ليس ببديهى لا ينال إلا بالحد» هذا مقام سالب جال فيه الإمام وصال ، هادما لهذه القضية ، مثبتا فسادها بستة عشر وجها ، فزاد خمسة أوجه عما ذكره فى كتاب « الرد على منطق اليونانيين » وكنا نود تلخيص هذه الحجج العقلية الرائعة ، بيد أنا نترك للقارىء الكريم إعمال فكره ، ليستمتع بنفسه بذلك الحجاج الفكرى الرائع الذى يسمو به ابن تيمية إلى الذروة ، من دقة التفكير وقوة الملاحظة ، و بصر الإدراك ولمعان الذهن ونفاذ البصيرة . ثم يستطرد فيبين أن العرب والمسلمين منهم هم أعظم الناس إدراكا للفروق بين الصفات الذاتية ، وأدقهم فى التمييز بين المشتركات .

ثم بين فضل منطق متكلمى الإسلام على سواه من منطق الفلاسفة ومتكلمى الروم . ثم بين رأيه فى الحد عند المناطقة ، فيرميه بأنه حشو لكلام كثير ، وأنه يعقد السهل ، ويحيل الوضوح غموضا .

نقد القياس : وينقد ابن تيمية القياس ، مبينا أن صورة القياس فطرية تنعقد دون حاجة إلى تعلم ، وأن باطل القياس المنطقى أكثر من حقه ، والحق الذى فيه فطرى لا نحتاج إلى هذا القياس فيه .

ثم بدأ يستدل على فساد القياس بحجج متعددة ، تجلت فيها المواهب الفكرية الرائعة النادرة للإمام ، تجليه لنا علما يسامى قصى النجم ، فوق قمة الفكر الإنساني العليا . وحق ما يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق « ولو أن الدراسات المنطقية سارت منذ عهد ابن تيمية على منهاجه فى النقد ، بدل الشرح والتفريع والتعمق لبلغنا بهذه الدراسات من التجديد والرقى مبلغا عظيما[1] »

ها نحن عرضنا ذلك الكتاب الذي سعدنا بتقديمه ، والذى تهديه مشكورة

---

(١) ص ١٢٥ من كتاب فيلسوف العرب والمعلم الثانى

« مطبعة السنة المحمدية » إلى المفكرين ، لا فى الشرق الإسلامى فحسب ، بل فى شتى مناحى العالم الإنسانى .

ويقيننا : أن المطبعة الكريمة بهذا الكتاب الذى تهديه إلينا ؛ قد شيدت لنا صرحا آخر من بناء مجدنا الفكرى الإسلامى العظيم ، ولكم كنا نود أن يفرغ جماعة من علماء الأزهر والجامعة المصرية لدراسة ابن تيمية العظيم ، وبعث مآثره ونحن نلمح الأمل شعّاع النور اليوم . لأن على رأس الأزهر اليوم رجلا عظيما يجل ابن تيمية ويقدره حق قدره ، وهو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر علامة الإسلام اليوم « الشيخ عبد المجيد سليم » وفقه الله وأيده وسدده .

ترى هل يتحقق الأمل ؟

ألا إن الأمل من الله لماح الأشبة . وربنا بيده الخير وهو على كل شىء قدير . وهو الذى يقول وقوله الحق (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

القاهرة { ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٣٧٠ / ٧ فبراير سنة ١٩٥١ }

عبد الرحمن الوكيل

نقض المنطق

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

٦٦١ – ٧٢٨ هـ

رحمنا الله وإياه ، وغفر لنا وله وللموحدين